

ا.د.سعاد هادي حسن الطائي  
دراسات في تاريخ المغول والايخانيين  
دكتوراه تاريخ اسلامي  
عنوان المحاضرة:الصاحب محمود يلواج  
ودوره الاداري والسياسي في عهد المغول

لقد اظهرت الاحداث التاريخية بمختلف جوانبها الدور المهم الذي مارسه عدد من المسلمين و قومياتهم المختلفة لاسيما ممن عملوا في البلاط المغولي سواء في عهد جنكيز خان او في عهد خلفائه، لاسيما ان معظم هؤلاء كانوا من سكان البلاد التي خضعت للاحتلال المغولي، ونظراً لما كان يتمتع به هؤلاء من فكرٍ اداري وسياسي وعسكري ثاقب.

لهذا سعى جنكيز خان وخلفاؤه الى تقريبهم منهم واولوهم اهتماماً كبيراً لغرض الافادة من قدراتهم الادارية والسياسية والعسكرية، واعطوا اهتماماً اكبر لمن كان يتمتع منهم بمواهب علمية وفكر ثاقب وإلمام بعلومٍ شتى ، وبمن يتقن لغات عدة.

ولهذا نجد ان البلاط المغولي قد شهد تقدماً ملحوظاً في المجالات كافة، وهذا يعود بالتأكيد لجهود عددٍ من الموظفين ممن كانوا يعملون في اركان الدولة المختلفة.

لهذا لا نستغرب كثيراً من القرارات التي كان يأمر بها جنكيز خان او خلفاؤه لتعيين أو تولية عددٍ من هؤلاء في اعلى وظائف الدولة ، واهمها الوزارة أو الولاية، بل انه اتخذ عدداً منهم مستشارين له لادراكه بقدراتهم ولتقته برأيهم وكان معظمهم من المسلمين.

وقد اشار احد المؤرخين الى ذلك بقوله: ( وقد كان وزراءهم - أي وزراء المغول- الذين كانوا يدبرون امور المملكة الداخلية من جباية الخراج ونصب القضاة ، والمفتين والمدرسين والائمة والمؤذنين كلهم من المسلمين حتى في اصل مملكة جنكيز خان التي يقال لها المملكة القآنية وهي مملكة المغول .....).

وكان صاحب محمود يلواج في مقدمة هؤلاء وله الحصة الأكبر في كل ذلك، فقد حظي باهتمام جنكيزخان وخلفائه ورعايتهم له ، منذ لحظة اعلانه الولاء والطاعة لهم ، واحتل أعلى واهم المناصب في عهدهم ، إذ وكل له للقيام بمهام مهمة كان لها دور وأثر كبيرين في بلورة كثير من الاحداث السياسية التي مرت بها الامبراطورية المغولية.

أولاً: نبذة تاريخية عن صاحب محمود يلواج :

1- اسمه ونسبه، ألقابه، أصله، ديانته:

هو فخر الدين أبو القاسم محمود بن محمد. لُقّب بألقاب عدة منها الخوارزمي نسبةً الى مدينة خوارزم التي ولد فيها.

ولقب بلقب يلواج وهو لقب تركي اويغوري أصله يولاج، ومعناه المرسل أو السفير أو المبعوث، ولقب بذلك لكونه كان سفيراً لجنكيز خان. وسوف نذكر تفاصيل ذلك في الصفحات القادمة من البحث.

ولقب ايضاً بلقب ثالث هو صاحب الاعظم وذكر ان هذا اللقب يعني الوزير.وقد ذكر د. فؤاد عبد المعطي الصياد انه تلقب بهذا اللقب في عهد اوكتاي خان(628-639هـ)/(1228-1241م).

اما بالنسبة الى اصله، فقد اشرنا سابقاً الى انه ولد في مدينة خوارزم، وهذا يعني انه كان من الاتراك.

وخير دليل على ذلك هو ما ذكره بارتولد بقوله: ( ان مسعود واباه - اي محمود يلواج - كانا من اصحاب اللسان التركي).

واضاف بارتولد ان مسعود بن محمود يلواج كان يحمل لقب بيك وهو لقب تركي، وان اثنين من ابنائه كانا يحملان اسمين تركيين خالصين وهم ساتلمش بيك وسيونج، اما ديانته فقد كان مسلماً. وكان يعمل في مقتبل حياته تاجراً، إذ كان للتجار المسلمين الاثرياء دور مهم وتأثير كبير على البلاط المغولي

## 2- صفاته:

انماز محمود يلواج بمواصفات مهمة عدة، وكان ذا كفاءة ادارية وسياسية واضحة المعالم. كان كاتباً ماهراً سديداً، فقد كان يتقن الكتابة بلغاتٍ عدة منها اللغة المغولية والايغورية والتركية والفارسية. فضلاً عن اتقانه الحديث بلغات عدة منها اللغة الخطائية والهندية والعربية. ونظراً لذكائه وفطنته وصف بأنه كان غاية في الفهم والمعرفة والذكاء. وكان ايضاً موصوفاً بالدهاء.

ونظراً لبرايعته وسياسته الحكيمة وكفاءته وصف في مصادر تاريخية بصفاتٍ عدة اظهرت مدى كفاءته وسوف نستعرض اهم ما وصف به.

هو) صاحب الأقدم والدستور الأعظم فخر الدنيا والدين، غياث الاسلام والمسلمين، اعدل وزراء الخواقين، ضابط الممالك، حارس أهل الاسلام من المهالك،....)

وقيل عنه : ( يطلع الممالك الشرقية كالبدر في إفاضة الانوار واعتلاء القدر، فعلا على الأروس والهامات يلواج، كالتاج على المفرق...).

وقال عنه الجويني انه كان ( قبلة الآمال ومقصد المخلوقات). ووصفه ابن الفوطي ( كان من اعيان دولة جنكيز خان والعظماء من الوزراء، وفي هذا الزمان، وعليه مدار الملك في المشرق).

قال عنه العلامة كمال الدين ابو المظفر البلدي هذه الابيات الشعرية التي يمدحه فيها:

هو الصدر فخر الدين محمود الذي اعاد بجده القرون الخواليا

فعاد به سوق الافاضل قائماً وأض به رسم الفضائل جارياً

فأقسم لو عاد الزمان بأصف لكان له في حله الرأي تالياً

ووصف عدد من المؤرخين ابنه مسعود بيك بصفاتٍ عدة مادحين اياه من خلالها، نظراً لما كان يتمتع به من كفاءةٍ ملموسة لا تقل اهميةً عن كفاءة والده، لكونه قد سار على نهجه نفسه.

- المناصب الادارية التي تقلدها في عهد جنكيز خان(615-624هـ)/(1218-1226م):

رحل محمود يلواج عن وطنه الاصلي خوارزم في عهد السلطان خوارزمشاه علاء الدين محمد والتحق بخدمة جنكيز خان قبل هجومه على املاك الامارة الخوارزمية (490-628هـ)/(1096-1230م). على الرغم من انه كان يتمتع دائماً بعطف السلاطين الخوارزميين ويحظى باحترامهم واجلالهم له.

ولم تشر المصادر التاريخية الى السبب الرئيس الذي دفع بالصاحب محمود يلواج الى الرحيل عن خوارزم ، ووجد ان العامل السياسي كان له اثر كبير في اضطراره الى الرحيل والالتحاق بخدمة جنكيزخان، نظراً " لأدراكه بقوة المغول وبضعف الامارة الخوارزمية ، وبعدم قدرة سلاطينها على مواجهة المغول فيما اذا حاولوا احتلال خوارزم ومعظم البلاد التي كانت خاضعة لسلطتهم ، ولادراكه بالاضرار الكبيرة التي سوف تنتج عن ذلك ، وهذا يعني انه كان يتوقع قيام المغول بذلك من خلال استقراره لمستجدات الاحداث السياسية التي عاصرها.

وربما تكون هناك عوامل اخرى شخصية لم تفصح عنها المصادر التاريخية ، مثل رغبته في الترحال لكسب العيش في بلد اخر، نظراً " لما يمتلكه من خبرة ودراية ومعرفة كبيرة في امور عدة

ومهما كان السبب الذي دفع بالصاحب محمود يلواج للرحيل عن خوارزم فإنه ومنذ التحاقه ببلاط جنكيز خان ودخوله في خدمته، شرع جنكيز خان بالاعتماد عليه لثقته به وبقدراته، فاتخذ منه سفيراً له في بداية الامر.

وكانت اول سفارة له عندما بعثه جنكيز خان الى خوارزمشاه علاء الدين محمد لادراكه بعظمته وسعة نفوذه ، فسارع لعقد الصلح معه، ادراكاً منه بعدم قدرته على معاداته

لهذا بعث جنكيز خان رسله سنة 615هـ/1218م الى خوارزمشاه علاء الدين محمد في بخارى، وكان في مقدمتهم محمود يلواج الخوارزمي، وعلي خواجه البخاري، ويوسف كتكا الاتراري، وقد ارسل جنكيز خان اليه معهم الكثير من الهدايا الثمينة من بلاد الترك مثل النقر المعادن ونصب الختو، ونوافج المسك، واحجار اليشب، والثياب التي تسمى طرقوا التي تؤخذ من صوف الجمل الابيض يباع الثوب منها بخمسين ديناراً أو أكثر، التي لا تهدى إلا للسلطين

وذكر بارتولد ان من بين هذه الهدايا قطعة من الذهب الصامت من جبال الصين في حجم سنام الجمل وكانها تـ محمولـة على عربـه  
في حين أجمل السبكي هدايا جنكيز خان لخوارزمشاه علاء الدين محمد بقوله (... وارسل اليه الهدايا المفتخرة، والتقادم السنية...)  
ومن المهم ان نذكر هنا ان خوارزمشاه علاء الدين محمد قد استقبل رسل جنكيز خان احسن استقبال وعلى رأسهم محمود يلواج وبمن جاء معه مرحباً بقدمهم.  
فقدم محمود يلواج رسالة جنكيز خان اليه التي استهلها بأطيب الكلمات واجملها. وكان مضمون الرسالة هو طلب المسالمة والموادعة، وسلوك مسالك المجاملة.  
اما نص رسالة جنكيز خان لخوارزمشاه علاء الدين محمد هو: ( ان الخان الكبير " جنكيز خان" يسلم عليك ويقول: ليس بخفي على عظيم شأنك، وما بلغت من سلطانك، ولقد علمت بسعة ملكك، وانفاذ حكمك في اكثر اقاليم الارض، وأنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات، وانت عندي مثل اعز اولادي، وغير خاف عليك ايضاً انني ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك، وقد أذعنت لي قبائلهم. وانت اخبر الناس بأن بلادي مثرات العساكر، ومعادن الفضة، وأن فيها لغنية عن طلب غيرها. فأنت رأيت أن تفتح للتجار في الجهتين سبيل التردد، عمت المنافع وشملت الفوائد)



واشار السيوطي الى ان جنكيز خان اشار في رسالته: ( ... فأن رأيت ان تعقد بيننا المودة، وتأمر التجار بالسفر لتعلم المصلحتين فعلت).

اما المؤرخ عباس العزاوي فأشار الى ان جنكيز خان ذكر في رسالته: ( ان الله اعطاني ملك الشرق الى حدود ملكك، فانت ابني، فاجهد على الجميل يكن المسلمون في راحة وطمأنينة!).

ومع اختلاف بعض المصادر التاريخية في نص الرسالة وفي بعض مفرداتها، فأن مضمونها واحد، هو طلب الصلح وعقد المعاهدات التجارية بين الطرفين.

ومن المهم هنا ان نذكر ان هذه الرسالة تحمل في طياتها ومضمونها كل معاني التهديد والوعيد وفي اكثر من موضع؛ إذ ذكر جنكيز خان ان خوارزمشاه علاء الدين محمد هو بمنزلة الابن عنده، وهذا معناه وبكل وضوح التبعية له، إذ إن العلاقة بين الابن وابه، وبين الاخ الصغير والكبير، وبين العم وابن الاخ، فمعظم هذه العلاقات تحمل في مضمونها التبعية بمختلف انواعها، كانت تدون في المعاهدات بين أمراء آسيا، الذين كانوا لا يعرفون معنى للعلاقات السياسية التي تقوم على أساس مبدأ المساواة بين معظم الاطراف المتحالفة، فضلاً عن ان جنكيز خان كان قد تعمد في الاشارة في رسالته لخوارزمشاه علاء الدين محمد واخباره بانه سيطر على الصين واخضع معظم العناصر التركية تحت سلطته واصبحوا رعاياه، وكما هو واضح ان خوارزمشاه علاء الدين محمد هو من الاتراك.

2- المناصب الادارية التي تقلدها في عهد اوكتاي خان(626-639هـ)/(1228-1241م):

حظي صاحب محمود يلواج بمكانة متميزة في عهد اوكتاي خان لا تقل اهمية" عما كانت في عهد جنكيز خان.

فقد ذكر المؤرخ عباس اقبال ان صاحب محمود يلواج كان صاحب الديوان في عهد اوكتاي خان. ولثقته الكبيرة به فقد اسند اليه ولاية ممالك بلاد الخطا أي الصين الشمالية بعد أن تسنى له فرض سيطرته على معظمها.

واشار بارتولد الى ان اوكتاي خان عندما قسم الممالك بينه وبين ابنه كيوك خان اسند للصاحب محمود يلواج فضلاً عن ولاية بلاد الخطا والاراضي الممتدة من بلاد تنكت الى ديار يغمرفي حين ذكر د. فؤاد عبد المعطي الصياد ان اوكتاي خان اسند للصاحب محمود يلواج ولاية تركستان وخورزم ومعظم بلاد ما وراء النهر. ولهذا اشار بارتولد ان صاحب محمود يلواج كان يحكم بلاد ما وراء النهر باسم اوكتاي خان.

واشار بارتولد أيضاً الى ان معظم اراضي بلاد ما وراء النهر والممتدة الى سمرقند وبخارى كانت خاضعة لجغتاي بن جنكيز خان. ومن الواضح ان هذا الامر قد حدث عندما أضيفت بلاد ما وراء النهر الى سلطة جغتاي بن جنكيز خان مما أضطر بمحمود يلواج للحاق ببلاط اوكتاي خان. لهذا اسند جغتاي ولاية بلاد ما وراء النهر لمسعود بيك بن محمود يلواج .

واشارت المصادر التاريخية الى أن صاحب محمود يلواج اكتفى بولايته على بلاد الخطا وجعل حكم بلاد الاويغور وخواارزم وكاشغر ، وسمرقند وبخارى لابنه مسعود بيك.

في حين ورد في عدد آخر من المصادر التاريخية إن اوكتاي أسند لمسعود بيك بن محمود يلواج منذ البداية إدارة الولايات في بلاد ما وراء النهر ابتداء" من مدينة بيش – باليق وقراخوجه اللتين كانتا ضمن الولايات الاويغورية، وولاية ختن وكاشغر، والماليق، وقياليق، وسمرقند وبخارى حتى شاطئ نهر جيحون. وأشار د. احمد محمود الساداتي الى أن مسعود بيك اضطلع بمنصب مشابه له في الصين.

وقد أُشير أيضاً الى ان مسعود بيك كان مشاركاً لوالده محمود يلواج في حكم معظم البلاد التي كانت تحت سلطته

ولهذا ذكر بارتولد ان مسعود بيك كان يدير شؤون جميع الحضر من سكان اسيا الوسطى من بلاد الاويغور حتى خوارزم، هذا فضلاً عن تركستان وبلاد ما وراء النهر، أي ان ادارته لم تكن قاصرة على البلاد الاسلامية فقط. وقد استمر في حكم اسيا الوسطى حتى وفاته سنة 688هـ/ 1289م.

وقد تعرض صاحب محمود يلواج لوشاياتٍ ومكائد عدة في عهد اوكتاي خان نظراً لما كان يتمتع به من كفاءة واضحة المعالم ولما حظي به من ثقة الخان به.

فقد ورد في مصادر تاريخية عدة ان جغتاي خان - اخو اوكتاي خان - كتب مرسوماً يفوض فيه ادارة قسم من بلاد ما وراء النهر لشخص آخر علماً انها كانت تحت سلطة صاحب محمود يلواج وادارته ، فعرض محمود يلواج هذا الامر على اوكتاي خان، فارسل اوكتاي خان مرسوماً الى جغتاي لأقامة تحقيق في هذا الموضوع وأمره بأن يكتب اليه بالرد ويوافيه به.

وفاة الصاحب محمود يلواج:

استمر الصاحب محمود يلواج بمباشرة مهامه السياسية والادارية في معظم البلاد الخاضعة لسلطته حتى وفاته في شهر ربيع الاول من سنة 652هـ / 1254م. وكانت وفاته في مدينة خان - بالق - أي بكين حالياً - ، ودفن فيها.